هوام قتل الطفل عند أم في الاستشارة النفسية

تحليل السياقات النفسية من خلال الرورشاخ

Fantasy of mother's infanticide in psychological consultation.

Analysis of psychic processes through the Rorschach

أ.كريمة طوطاوي [1] (أستاذة محاضرة أ)

[1] قسم علم النفس، كلية العلوم الآجتماعية، جامعة أبو القسم سعد الله .الجزائر 2

تاريخ الاستلام : 2019-03-07؛ تاريخ المراجعة : 2020-12-07؛ تاريخ القبول : 2021-03-31

ملخص:

إن قتل الأم لوليدها ترك لغزا محيرا عن مصدر العنف.التحليل النفسي يجيب بعالمية هوام قتل الطفل لدى الوالدين على حد سواء و يتجلى ذلك من الكراهية و التناقض الوجداني في الرعاية الطفل. هذا الهوام ينشط سيرورات الإنفصال المبكر، وقد يتحول إلى جريمة قتل، بالنسبة لأمهات ذات خصائص نفسية باتولوجية، أوتطفو لديهن آثار الخبرات الصدمية المبكرة.وعلى خلاف ما ورد في أدبيات التحليل و الإسقاطيات، إتضح من بروتوكول رورشاخ حالة تقدمت للإستشارة النفسية جملة من السياقات النفسية: كالتقمص الإسقاطي و الإسقاط المكثف للقلق الاضطهادي جراء تسرب الصورة الأمومية المقتدرة و المريعة.و لم نجد تفككا ذهانيا صريحا مع ترسانته الدفاعية، لكن هناك توظيف بدفاعات عصابية ، تفيد في معالجة المحتويات الذهانية التي تخللت التوظيف النفسي للحالة.يمكن القول أن هوام قتل الطفل لدى الحالة يكشف عن صعوبة إرصان وضعية أمومية على أنقاض صورة أم ضحية في الواقع، لكن مقتدرة و قاتلة في اللاشعور و تهدد بالعودة للانتقام.وتقمص الأم المقتدرة في إطارعلاقتها بطفلها، جعل الحالة تتمثل لا شعوريا رغبة أمها في قتلها هي. فالأم الداخلية نقلت إليها هوام قتل الطفل، فأصبحت الحالة تكرره مع طفلها في شكل خبرة اضطهادية أو هجاسية، لتجد دلالة رمزية محررة للمحتويات العنيفة و المبهمة المستدخلة مبكرا.

الكلمات المفتاحية: هوام قتل الطفل – الشعور بالذنب- قلق إضطهادي –علاقة مبكرة- احتضار بدائي

Abstract:

Infanticide committed by the mother raises the fundamental question about the origin of violence. The psychoanalysis considers it an expression of maternal hatred and primary ambivalence towards the child.

This fantasy whose psychic function is to introduce the process of early detachment, can turn into murder in mothers with pathological characteristics, or who suffer from the return of traces of primary traumatic experiences.

Unlike the literature of projectives, the Rorschach protocol of a mother in psychological consultation reveals the involvement of certain defensive processes, such as the projective identification and massive projection of the anguish of persecution under the sign of an all-powerful and terrifying maternal imago, far from suspecting a frankly psychotic de compensation.

These defenses are put in place to counter or cure psychotic contents infiltrating a psychic function of a neurotic character. The fantasy of the infanticide of this consultant, reflects her difficulty in developing a maternal position in support of primary identifications to the mother actually perceived as victim, but unconsciously omnipotent and murderous and ceaselessly in the quest for revenge. Identifying this terrifying imago in the context of the mother-child relationship subconsciously reactivates the primary representations of the mother's desire for her own murder, and it was her inner mother who transmitted to her the fantasy of the infanticide that this consultant relives under an obsessive or persecuting dimension before her child. Finally, from a therapeutic point of view, this fantasy restores violent or ambiguous contents of an early relational experience, back for a symbolic and liberating elaboration.

Keywords: Infanticide Fantasy – Feeling Guilt – Persecutory Anxiety – Early Relationship – Primitive Agony

I - تمهيد

تكتسي الأمومة على الصعيد العالمي تصورات مثالية ومقدسة خصوصا في الديانات،كونها تمثل منبع الحياة.وعلى الصعيد النفسي،إنجاب الطفل من أروع الخبرات التي تتطلع إليها المرأة.والرغبة في الإنجاب تعد بالنسبة إليها مطلبا فطريا يستجيب للحاجة لإشباع نوازع الأمومة،إذ أنها تحقق لها ارتقاء في الوضعية الشخصية على منوال موضوع الحب الأولي.لكن فترة الحمل شبيهة بأزمة المراهقة،فالحياة النفسية للحامل تصبح شفافة، بحكم أن أجزاء ما قبل الشعور واللاشعور تخترق الشعور بسهولة.(Bonnichon,2012 :42) لذلك،قد تخبر المرأة أثناء الحمل و/أو بعد الوضع تغيرات في المزاج العام، مصحوبة بتصورات غريبة أو حصرية عن الطفل و/أو عن نفسها.إن امتداد تلك المحتويات الشعورية بخبرات لاشعورية أكيد، وهو يحصر إشكاليات الأمهات اللائي يعانين من انبعاث هوام قتل الطفل أو تلك اللواتي يقدمن على قتله، ضمن هذا السياق الباتولوجي من الحياة الداخلية شبه الذهانية.

هذا الهوام الذي لا ينفك عن الكراهية اللاشعورية "الطبيعية" للطفل لدى الولدين معا ، ينشط بصورة باتولجية لدى الامهات اللواتي يعانين اشكالية العلاقة القديمة بالأم . و هوام قتل الطفل يعد من التصورات البدائية التي تخترق العلاقة بالطفل حيث تتمثل لديهن صورا لرغبة قتل الطفل، و تولد هذه التصورات كثير من مشاعر الذنب لدى الأم ذات الشخصية العصابية المرضية، بينما قد تمر الأمهات ذات التوظيف الذهاني لجريمة قتل الطفل أثناء حلقة ذهانية.

نتطلع من خلال هذه الدراسة، لتحليل بروتوكول الرورشاخ لحالة فريدة التي طلبت استشارة نفسية و هي تشكو القلق الحاد من سيطرة فكرة قتل طفلها الذي يبلغ سنة من عمره. و تحليل هذا البروتوكول سيتيح لنا معرفة طبيعة النشاط الدينامي الذي يثير هذا الهوام ، و السيرورات المسؤولة عن ظهوره.

و الأهم ،أن نعرف إن كان هذا الهوام يميز توظيفا بدائيا تفككيا أم أنه وارد أيضا في التوظيفات النفسية الأكثر تنظيما و تحت أي ظروف أو شروط يتم تسرب هذا الهوام. بداية، نستعرض حوصلة للأدبيات التحليلية المتصلة بجريمة قتل الطفل من الوالدة، يلي ذلك رض وتحليل بروتوكول فريدة ثم مناقشة الفرضيات التحليلية على ضوء الإنتاج الإسقاطي للحالة.

و تعد دراسة الحالة هذه ذات أهمية بالنسبة للممارسة العيادية للأخصائي النفسي أو المعالج ، حيث تقدم مؤشرات التمييز في التشخيص ما بين الحالات اللاتي تعانين من تسرب هوام "غريب" لقتل الطفل يندرج ضمن سيرورات التفكك الذهاني و ينتهي بالمرور للفعل الإجرامي، و بين انفلات تصورات بدائية مقلقة تتكرر في عالم الأم التي عانت من صدمات علائقية مبكرة و تعجز عن تقمص الوضعية الأمومية أمام رضيعها ، و تبحث عن دلالة رمزية في إطار الإستشارة النفسية، لتضميد النزيف النرجسي جراء فقد الأم الجيدة في بداية الحياة، تلك إشكالية تنخرط ضمن تنظيمات نفسية غير الذهانية بل وتكون غالبا مشبعة بالسياقات العصابية.

I.1- أدبيات تحليلية حول هوام و جريمة قتل الطفل

إن انتظار الحمل يمكنه أن يؤجج هوامات الحمل الطفلية والتقمص الأنثوي للأم(Bydlowski,2000)،فلا تخلو فترة الحمل من عودة ذكريات الماضي على شكل انفعالات أليمة،حزن غير مبرر،أحداث الطفولة،..فالحامل تختبر إذن حالة نفسية مليئة بالتناقضات.

و قد اعتبر وينيكوت (Winnicott,1956) هذه الحالة الانتقالية "ذهانية"، قلما تتذكرها النساء بعد الولادة.فالشفافية النفسية التي تصاحبها،مع أنها حدثا طبيعيا، يمكن أن تعيد إحياء المخاوف البدائية (Winnicott,1975)،وهي التي تفسر بعض حالات الولادة المبكرة أو التظاهرات الباتولوجية أثناء الحمل أو بعد الوضع.(Cité par Bydlowski37: 2006,).

ويستثني وينيكوت(1956) حالة "الاهتمام الأمومي"التي تعد طبيعية و تعكس التفاعلات الهوامية بين الأم-الرضيع في بداية الحياة.

وبالرغم من كل التصورات "السحرية" التي تحيط المولود قبل و بعد الوضع، الكثير من المحللين يعتبرون الحمل أو الولادة يثيران لدى الأم لاشعوريا هوامات غريبة أو قاتلة. و هوام قتل الطفل- قتل الوالد يعد هواما بدائيا نمطيا منذ الولادة و الأيام الأولى للحياة. (Ravit, 2011 :76) وتستيقظ أثناء الحمل المخاوف القديمة التي تسبق بداية اللغة و يسميها وينيكوت "الاحتضار البدائي".(Winnicott, 1963) وهي أصل أغلب طلبات انقطاع الحمل لدى الأمهات. في الواقع ،

تتخلل علاقة الأم بطفلها تلك الصراعات والمخاوف التي اختبرت في بداية حياتها، لذلك نظرا لهشاشة الطفل قد يصبح محل إسقاط و تجميد أو تعبير بامتياز لهذه الصراعات.وقد أكد المحللون الأثر الباتولوجي للهوامات الأمومية المكبوتة و المسقطة على الرضيع في إطار التفاعلات المبكرة. و قد تفعل الأم لاحقا هذه الهوامات ضمن حركات الرعاية اليومية لطفلها، و هذه المحتويات النفسية المسقطة على الطفل تجرغالبا اضطرابات في النوم، في بناء رابط التعلق و في نمو الرضيع عموما. (Bydlowski,2001 :47)

ذكرت ميلاني كلاين(Klein,1927) العديد من المخاوف التي يختبرها الطفل في بداية الحياة كالخوف من التقطيع، الالتهام ،الخصاء،..والغريب أن هذه المخاوف توجد ضمنيا في القصص و الحكايات التي يرويها الأولياء للأطفال. (Cité par Houssier,2007 :501)

و تعتبر هذه الحكايات التي يؤلفها الراشدون مسلكا لتفريغ السادية الوالدية وقد تتخذ أيضا شكلا معقلنا لهوامات قتل الطفل. أوضح هوسيرذلك بتحليل نظرية الإغواء الجنسي،أسطورة أوديب والجماعة البدائية في كتب فرويد. و أكد أن لعقدة أوديب وجها غيرمرئي يتمثل في هوامات قتل الطفل.و تحليل بعض الحكايات الألمانية التي تروى للأطفال في زمن فرويد، أكد وجود هذا الهوام.وانتهى هوسيير إلى أن هذا الهوام "العنصر النووي لكل علاقة والد-طفل"(Houssier,2007 :501).

يعتبر بيرجوري (Bergeret,1984) هوامات قتل الطفل و قتل الأم أيضا ذات بعد بدائي،هي تتخفى في مجال غير المعقلن وراء إنكار دفاعي. وظهور هذه الهوامات يستدعي القلق الهذائي.هوام قتل الطفل عالمي بالنسبة للوكلير(Leclaire,1975)

ويظهر لدى المواضيع الوالدية، في بداية حياة الرضيع ويعد المصدر الخالص لكل صراع وتناقض وجداني.(Cité par Bonnichon,2012:34)

أما باريلبارغ(Perelberg, 1997, 2004) في حيله للعنف البدائي ويؤكد أن هذا هوام ينحدر من تهيئة هوامات تعنف المشهد البدائي.(Cité par Bonnichon2012:35,)

يوضح وينيكوت (1947) أنه لا يخلو استقبال الطفل عند الولادة من العواطف كما من الكراهية الوالدية.مبدئيا،الأم (و الأب أيضا) تكره الطفل قبل أن يصبح قادرا على كراهية مواضيع حبه.ويضيف وينيكوت أن هوام قتل الطفل ليس عرضا لمعاناة الوالد بل "يفهم على أنه هوام أصلي للعلاقة والد-رضيع (..) ويتولد عن إحياء "الطفلي (L'infantile)" في نفسيته ولتسيير الهوامات في العلاقات بين-الأسرية"(Cité par Houssier,2007 :498)

في الواقع، حركات الكراهية الوالدية كما توضح ميلاني كلاين (Klein, 1927) تكشف الرهانات القاتلة للرابط بالطفل، و لتحقيق المتعة من التقمصات السادية-المازوشية في العلاقة بين الوالد-الطفل. "ذلك هو شرط الحب الممكن الذي يتحقق انطلاقا من مسالك مصعدة لتفريغ الكراهية في إطار التناقض البدائي" (Houssier,2007 :501).

لكن هذه الكراهية الوالدية تعتبر ضروريا لنمو النفسي للطفل.وتؤكد بارلبيرغ (Perelberg,1997,2004) أن العنف البدائي يسمح للطفل"بتطوير الفضاء النفسي الخاص لمقاومة التهديد الذي يثيره الموضوع الأمومي قبل الأوديبي،الذي يتصف بكلية القدرة و الالتهام كمونا، بالدفاع أمام قلق الإهمال من خلال تنشيط نسبي للقدرة ، و أخيرا بناء أسطورة خاصة للميلاد" (Cité par Bonnichon,2012 :35).

ويفسر بانهايم (Benhaim,2002) كيف يتحول هوام قتل الطفل إلى الفعل الإجرامي للأم ،في إطار الثنائية النزوية (نزوة الحياة /نزوة الموت).

في تصور مصير نزوة الموت لدى الأم إلى إحدى أشكال التناقض الوجداني: أحدها أن تتخذ هذه النزوة طابع كراهية "رمزية " غير خيالية اتجاه الطفل ، هي " كراهية غير تدميرية أو قاتلة " لكنها "ضرورية، حيوية،بناءة باعتبارها تضع حدا، تقسم، تحجز، تضع شروطا للحب الأمومي الأساسي المقتدر"(Benhaim,2002 :102).

وعندما تمتزج الكراهية بالتناقض الوجداني، تصبح نزوة الموت تدميرية لدى الأم، فتدفع بها لقتل الطفل.عياديا، يصنف كل من دوبصون و صالز(Dobson& Sales,2000)

النساء اللواتي قمن بقتل مولودهن إلى مجموعتين: المجموعة الأولى من النساء تقتل مولودها خلال ال24 ساعة بعد الولادة،وغالبا هن شابات في حدود 25 سنة، عازبات لا يعانين من أي اضطراب نفسي، لكن كن ينكرن الحمل خشية

الاستهجان أو الرفض الأسري.ويتبادر لذهنهن عند ميلاد الطفل أن الحل هو قتل الطفل. بالنسبة للمجموعة الثانية فهن النساء اللواتي يقتلن الطفل ما بعد فترة الميلاد.هن غالبا أكبر سنا من نساء المجموعة الأولى، متزوجات، وسبق و أن تعرضن لاضطراب عقلي غالبا هو الاكتئاب أو الذهان.وهن يعشن دائما وضعيات ضغط أسري أو نفسي اجتماعي، ولديهن اعتقاد غريب في أن قتل الطفل هو المسلك الوحيد لإنهاء المعاناة الداخلية للطفل. (Cité parFugère& Roy, 2014 :634)

قلما يحكم القضاء على النساء اللواتي ارتكبن جريمة قتل مولودهن، بعدم المسؤولية بحكم الإصابة باضطراب عقلي ذو طابع ذهاني، أو بالاكتئاب ما بعد الولادة. في الغالب، إنكار و إخفاء الحمل حتى عن الأسرة هوما يميز الديانامية النفسية لديهن إلى غاية الوضع، حيث يسقط الإنكار و يحل محله المرور للفعل الإجرامي. حتى أن أسر هؤلاء النساء،لا تدرك قصة الحمل إلا عند المحاكمة الجنائية.(Cité par Fugère& Roy, 2014 :658)

بالنسبة لملمح الشخصية لديهن،ذكر كوتانصو(Coutanceau,2011) بعض الخصائص: كالسلبية والانطواء على الذات،مع وجود بعد خوافي في العلاقة بالآخر أو بالعالم.لدى نساء أخريات،سجل عدم الارتياح الذاتي في الجسد و تجاهل الحقائق الفيزيولوجية للأنوثة. ولا يحصل لا استثمار الحمل و لا الطفل ذاته.وقتل الطفل قد يحصل إثر حلقة اكتئابية شبه هذائية، حيث تتوقع الوالدة مخاطر أكيدة تترصد بطفلها فتقوم بقتله لإنقاذه. و كثيرا ما يحصل الأمر نفسه بالنسبة للأولياء المضطربين نفسيا و المقدمين على الانتحار: فالخشية أن يصير الطفل إلى نفس معاناتهم و فشلهم في الحياة، تقودهم إلى قتله لإنقاذه قبل انتحارهم .(Cité parFugère&Roy,2014 :659)

يضيف رومانو(Romano,2011) خصائص عيادية أخرى لهؤلاء الأمهات المجرمات، فلديهن شخصية عصابية بمركبة قلق الإهمال،عدم النضج الشخصي، وعمق حصري، و شك في الذات و نقص الشعور بالأمن.و قد يتعرض البعض منهن لانفصال عاطفي مع وجود هشاشة في الهوية تشكل أرضية لاكتئاب ميلان خولي،في غضون الجريمة (Cité par Fugère&Roy,2014 :660).

وتعتقد بورغينيون (Bourguignon,1984)أن هناك علاقة بين التعرض للعنف المبكر و قتل الأم لطفلها. فموت الطفل بالنسبة لها يعد عمل نقل للكراهية (الشريك، الأولياء،..) أو نقل الرغبة في التدمير الذاتي:فانتحار الغير(بقتل المولود) هو "انتحار الشبيه" الذي تنجو منه الأم.و وتعزو بورغينيون أيضا جذور الجريمة إلى الجيل السابق،فقد سجلت الكثير من الاضطرابات الأسرية و إحباط عاطفي مبكر أمومي أو أبوي، في طفولة الأولياء المجرمين، أو المعنفين لأطفالهم أو حتى في معاش الأطفال أو الأولياء الذين انتحروا.(Cité par635): Viaux,2014

يرجح فيو(2014) فرضية مفادها أن كراهية الذات هي التي تحمل الأم لقتل طفلها:في الواقع، هي تتجه ضد ذاتها سواء كانت معنفة للطفل أو قاتلة له، لأن في تصورها هذه الذات مجردة من المثالية التي افتقدت بناءها في إطار العلاقة بالأم.و يضيف فيو أن تدمير الطفل سيرورة قاتلة طويلة نسبيا و غير قابلة للتنبؤ، تبدء بسوء معاملة الطفل، والتي تتمثل في لامبالاة الأم أو عدم إدراكه المعاناته و تصور الرابط بالطفل على أنه موضوع اضطهادي، حيث يحدث التباس بين الطفل المولود لها(L'enfant de soi) و الطفل الداخلي الخاص (L'enfant en soi).ليست هناك حدود تتوقف عندها سوء معاملة الطفل خصوصا إن استمدت جذورها من الكراهية الطفلية. و تحذر بورجينيون(Bourguignon,1984)من خطر إسقاط كراهية الذات لدى الأم على طفلها، و التي يمكن أن تظهر عياديا، و بشكل خافت، وراء وضعية برودة،غياب التعاطف،الحذر، أو النظر في نمط شخصية الوالد إن كان يستثمر الطفل لدعم نرجسيته،أو أنه يستثمر نرجسيته على أساس الكراهية.(Viaux, 2014:639)

على المستوى الدينامي، العديد من المحللين يؤكدون أن صدمات العلاقة المبكرة بالأم هي التي تحمل بذور الجريمة في حق الطفل. ففضلا عن عجز الأم القاتلة عن تمثل وضعيتها الجنسية في الواقع(Depaulis ,2003)، تعد النوعية الرديئة للمحور النرجسي أو الميلان خوليا أكثر ما يدفع لهذه الجريمة،و على هذا النحو، تنجرف الأم بمقتضى النقائص النرجسية لقتل الطفل"استجابة لحداد مستحيل للذات" (Ravit,Anouck&Buttez,2013 :73).

إن صعوبة التذيت(Cahn,1998) أو تمثل وضعية الذات تتأتى من صعوبة إرصان الخبرة العلائقية البدائية حيث يفترض أن يحصل ميلاد الذات في إطار العلاقة بين-الذاتية الأصلية. وقد اتضح على ضوء الإسقاطيات أن قتل الطفل يحدث جراء طفو "خبرة حسية غير رمزية، لغزية" عن العلاقة المبكرة أم-طفل، وبصورة عنيفة، هذا الطفو الذي يولد

الالتباس النفسي يشكل الظرف اللحظي الحاسم وراء ارتكاب جريمة قتل الطفل.(Ravit, Anouck& Buttez ,2013 :73)

و ما أدلت به الأمهات السجينات عن خبرتهن للأمومة، يؤكد معاشا لأنماط الاقتراب جسد-لجسد الطفل، تخترقه تصورات حادة للوحدة،للخوف، للخطر و لليأس. هذا المعاش الذي يمثل انطباعات بالغرابة كما يصفه فرويد(Freud,1919) يحول دون إدراك الطفل الحقيقي إلا بعد فقدانه في الواقع، حيث تبقى هؤلاء الأمهات ضمن حلقة تدميرية و تحت وطأة تكرار مشاهد فقد الطفل، على نمط الاضطرار الصدمي أو ما يعادل " تجرع الصدمة باستمرار".(Ravit,Anouck& Buttez,2013 :75)

وعمل الإرصان العقلي لديهن يواجه "الأبيض"،الفراغ،رخاوة الفكر،..وكل ما يدل على انقطاع بدائي و تدمير منتظم للمحتويات النفسية.(Ravit,Anouck&Buttez,2013:75)

ومعاش العلاقة العلاجية بهؤلاء السجينات يؤكد أن ما هو غير قابل للترميز ويعد مؤشرا على موت الفكر لدى المريضات، يبقى وسيلة للحفاظ و تجاهل الحادث الماضي غير المعلن،والذي يلقى بإفراط في شخص المعالج.

يفسر مشهد الجريمة المآل لحالة اليأس المبكر التي بقيت كآثار مستحيلة التمثل العقلي،وهي تهدد بانهيار التواجد الذاتي،مع فقد إمكانية الانخراط الرمزي كشخص متفرد. فما بقي قديما، و مكيسا في ذاتية الأم،هو خبرة الهلع أو مخاوف الاحتضار التي تطفو في العلاقة التلاحمية بالطفل.وقد طرح أندري غرين (Green,1980) مصطلح "الأم الميتة" باعتبارها أصل نقائص جهاز الفكر في إرصان الخبرات النفسية المبكرة.فسحب الأم للاستثمار طفلها"بدون سابق إنذار يسبب إحباطا صدميا ينخرط في النفسية على شكل"نواة باردة".(Cité par Ravit,2011 :111)

و التقمص اللاشعوري للأم الميتة يدعو للتنازل عن الموضوع وعن تملكه أيضا لأن أي استثمار له يعني إعادة استثمار الآثار الصدمية للعلاقة المبكرة (Ravit, 2011 :111).

إن فقد الحب الأمومي الأولي، يولد أيضا فقدان المعنى.تتحرر النوازع التدميرية جراء انخفاض الاستثمار الشبقي، و تتطبع في صميم النفسية مثل جريمة قتل بدائية للموضوع،تولد شعورا عنيفا بالذنب غير الأوديبي.و قد أوضح روسيون(Roussillon,1991) أن التنافر الإيقاعي في بناء الرابط البدائي بالموضوع يكرر انطباعا بوجود عالم غير مضبوط ويسهم في ظهور"نواة الذنب البدائي" و العجز عن ابتكار عالم مرضي،مشبع و متوافق.هذا الشعور بالذنب البدائي يرتبط بالصدمات البدائية التي تبقى مفقودة من تاريخ الشخص،ولأن المعاش الحسي يواجه طريقا مسدودا لسيرورة التذيت، يصير للتكيس ضمن النرجسية البدائية ويتخذ شكل حلقات التباس بين الأنا/الغير وعدم ملائمة البيئة الأولى.تلك أرضية ليصبح النشاط النزوي تدميري وغير قابل للإرصان الرمزي.(Cité par Ravit, 2011 :112)

إن العلاقة التلاحمية بالطفل تصب في "الحلقة الصدمية الأصلية" وتضخ معاش الانهيار القديم للذات.وقتل الطفل من آثار هذه الصدمة التي أعاقت بناء الرابط الأول بالموضوع و"العقد النرجسي للتعلق"(Roussillon, 2002 :91). و لطالما كشفت عيادة الأمهات السجينات عن تلك الأحاسيس التي تراودهن من فراغ ويأس وغياب المتعة،والتي تترجم في النهاية، صعوبة تطوير رابط في الأصل مستحيل و بدون معنى.واختبار حالة اليأس المبكر من موضوع رافض"غير قابل للاستخدام، غير متوقع الاستجابات، مستحيل البلوغ إليه،غائب، هو ما يفسر صعوبة التعلق بالطفل لدى الأم المجرمة.وقتل الطفل يصبح "محاولة لاسترجاع نرجسي للموضوع المبتكر ذاتيا و المتملك حتى الموت"(Cité par Ravit, 2011 :112)"

تتم لإنهاء حالة الضيق القديم و لوصل نقاط الانقطاع في الرابط التلاحمي الأصلي. يتكلم روسيون عن تنشيط نرجسية قاتلة لإنكار الفشل الجذري في لقاء الموضوع و تاريخ ذاتية مجروحة على نحو مميت".(Ravit & Roman,2009 :149و في المحاولات الانتحارية لهؤلاء النساء المجرمات اللواتي يتمنين "إيجاد الشخص العزيز" دلالة عن عمق الشعور بالذنب البدائي،المتجذر في النفسية جراء العجز عن استخدام الموضوع، و هذا الفشل في طبعته النرجسية موسوم بحالة الضيق و الانسحاب الذاتي ("désêtre") يطفو من جديد في المرور للفعل". (Roussillon, 1991) و ويضيف روسيون (Roussillon, 2002:94)

أن مشهد قتل الطفل يبقى "كزرع نفسي لما ظل غير معقلن، ويعود صداه في اليأس النرجسي للشخص،هذا الفعل الإجرامي شبيه بالتجسيد على أرض الواقع ،لمعاش اختضار ذاتي بدائي وإصابة نرجسية مميتة. (Cité par Ravit & Roman ,2009 :149)

في نهاية الأمر،جريمة قتل الطفل بديل ملموس ومشهود لمعاش الاحتضار الذاتي لدى الطفل الداخلي الذي يفتقد لتصورات وكلمات تعبر عن خبرة الالتباس القديمة والقاتلة.

III -طريقة وأداة البحث

بداية، يجب الاشارة إلى أنه لم يكن من المخطط إجراء دراسة حول بروتوكولا لحالة التي تقدمت للاستشارة النفسية جراء معاناتها من اجتياح هوام قتل طفلها، ومن أولويات الأخصائي النفسي أوالمعالج أن يقدم المساعدة النفسية فور وصولا لطلب من الشخص المريض. و قد يقوم هذا الأخصائي بفحص نفسي إذا تطلب الآمر ذلك ، ومن دواعي هذا الإجراء مثلا توضيح بعض الالتباس الذي قد يحصل في تشخيص الحالة ، خصوصا تلك الواقعة ضمن الخطوط المشتركة بين اضطرابين نفسيين، فوجود تكثيف للدفاعات النفسية المشتركة قد تؤدي إلى طرح فرضيا تتشخيصية مغلوطة. ويمكن للأخصائي النفسي بعد تطبيق تقنيات علاجية تلائم توجهه العلاجي،أن يستخدم تقارير فحوصه للحالة سواء كان ذلك لإجراء مقارنة أو تقييم لمستوى تقدم الحالة في التحسن النفسي،أوفي الإعلان أو المشاركة في الدوائر العلمية الأكاديمية أو المتخصصة ومن نفس مجاله،مع التزام بسرية مصدرها.

ومنهج الدراسة عيادي ، ويقوم على دراسة الحالة التي تهدف لتقديم فهم شامل للسير النفسي وللعمليات النفسية الكامنة وراء تطوير الصراعات اللاشعورية ، الدفاعات النفسية ، نوعية القلق وطبيعة العلاقات بالمواضيع . وفي نفس هذا الإطار ، قدمنا هذه الحالة من خلال تحليل بروتوكولا لرورشاخ لأجل توضيح نوعية التوظيف النفسي وفهم أهمية هوام قتل الطفل في السير النفسي للحالة. وعليه استخدمنا الرورشاخ الذي يعتبر أدق الروائز الإسقاطينة التي تكشف عن الديناميية النفسية وميكانيزمات الدفاع ونوعية الصراعات والمخاوف التي تنظم الحياة الداخلية للحالة.

وإجمالا، يتم تحليلا لإستجابات المقدمة عند لوحات الرورشاخ العشرة،استناد اللإشكاليات الكامنة التي تبعث إلى أهم محاور الصراع في الحثاة النفسية. ونلخصها في مايلي: طريقة تناول الموضوع الاولي (اللوحة(I؛ قلق الخصاء و/أو فقدان المضوع (اللوحة (II؛التقمصات الجنسية (اللوحةIII)؛تصورات للسلطة الوالدية والأنا الأعلى (اللوحةIV) ؛النرجسية والهوية (اللوحةV)؛تصورات للثنائية الجنسية (اللوحةVI) ؛التصورات الانثوية و/ أو الاموية (اللوحةVII) ؛الانفتاح على مثيرات العالم الخارجي (اللوحةVIII)؛ نوعية الحدود بني الداخل/ الخارج وتصورات للعلاقة المبكرة (اللوحةXI) ؛ وأخير الوحة الانفصال والتفرد.(اللوحةX) . وسنركز في تحليل البروتوكولا لرورشاخ لوحة بلوحة ، وسيتيح لنا ذلك معرفة طبيعة النشاط الدينامي الذي يثير هوام قتل الطفل ، و السيرورات المسؤولة عن ظهوره ، نتطلع أيضا لمعرفة فيما إذا كان تهذه السيرورات تفككية تنتسب لتنظيم ذو طابع ذهاني أم أنها مستقلة عن النشاط البدائي وتلتحق بالتنظيمات المسماة عصابية.

IV-تقديم و تحليل بروتوكول الحالة

1.IV- تقديم الحالة : اتصلت الحالة بالاستشارة السيكاترية، جراء الشعور بالقلق و مخاوف ارتكاب جريمة قتل طفلها البالغ من العمر سنة.فبمجرد تناول سكين من أجل الطبخ تراودها تصورات لارتكاب هذه الجريمة.هي تخشى من عدم القدرة على ضبط نفسها والمرور للفعل خصوصا،عند تواجدها لوحدها معه.الحالة تبلغ 29 سنة.هي البنت البكر بين5 إخوة(أختين وثلاث إخوة). مستواها الدراسي التاسعة أساسي. هي متزوجة وأم لثلاثة أطفال: بنت في سن الثانية عشر؛ ولد ذو تسع سنوات و طفل في السنة الأولى من عمره.

بدأت الحالة قصتها بزواجها في سن السادسة عشرة، هي نشأت في العاصمة،وانتقلت بعد الزواج إلى الجنوب.أمها مصابة بالربو،كانت تعيش صراعات زوجية،و كثيرا ما تتعرض للعنف الجسدي من الأب، لذلك تطلقت منه، و أعاد الأب الزواج ،كان سن فريدة آنذاك 17 سنة.قد تقبلت طلاق أمها بكثير من الارتياح،خصوصا وأنها انتقلت إلى الريف لتعيش مع جدتها.وتعتقد فريدة أن أمها في رعاية جيدة وستتولى جدتها علاجها من الربو.

تحدثت فريدة عن أمها مع الشعور بفقدان السند خصوصا و أنها تزوجت صغيرة السن وكانت بعيدة عن ولاية نشأتها (العاصمة). واجهت مشكلات في أسرة زوجها. فبحكم جمالها واعتنائها بأنوثتها ،تعرضت لمنافسة أنثوية قوية في الأوساط النسوية خصوصا مع أم زوجها. كانت النساء يلقبنها "بنت الشمال"، وجمالها سبب لها مشكلات لدرجة أن حماتها

اتهمتها بإنجاب ولد ثان من رجل آخر (نفس الولد الذي يتعرض لهوامات القتل من الحالة). و لحسن حظها، أنها تحظى بثقة زوجها كاملة و هو يدافع عنها في مواقف كثيرة.ومع استمرار نظرات الاتهام بمحاولة الإغواء كلما اعتنت بمظهرها وأنوثتها، بدأت الحالة ترضخ للاعتداءات وللاستفزازات أسرة الزوج ولم تعد تهتم بنفسها كما في السابق،وأصبحت تعاني من العزلة الاجتماعية، من الاغتراب بالنسبة للمجموعة النسوية، و فقدان الثقة في الذات ونقص القدرة على الدفاع عن النفس، أمام النماذج النسوية من الجنوب والمختلفة عن صورة الأم المعنفة والمريضة. تدريجيا و في حدود21 سنة أصبحت فريدة تعاني من الوهن النفسي و الاكتئاب الذي حجزها في سريرها مدة أربع سنوات.و قد نقلت لمعالج راقي أكد لها إصابتها بمس من الجن.وبعد مرور تسع سنوات من ميلاد ابنها الأول، أصبحت حامل بطفلها الثاني الذي ولد بعملية قيصرية.

إن ميلاد هذا الطفل أصبح نقطة تحول لدى الحالة، فتجاوزت الاكتئاب لتدخل في معاناة نفسية أخرى: انتابتها تصورات لقتل طفلها، وهوما سبب لها الشعور بالذنب وطلب الاستشارة النفسية.

2.IV -تحليل بروتوكولا لحالة

اللوحة (I): و منذ الوهلة الأولى، واجهت الحالة قلقا بالغا أمام الاستدعاءات الكامنة للوحة، فقد اخترقت هذه البواعث العالم الداخلي للحالة،و جعلتها تبحث عن موقع أو زاوية تتموضع فيها لمواجهة الموضوع المقلق: ("إتسمى نوصفلك واش راني انشوف؟").الظاهر أن هذه المواجهة أثارت صراعا داخليا تخطته بتنصيب وضعية دفاعية ذات طابع اضطهادي ("كشغل Papillon بصح إيخوف (ضحك)..).وتكثيف النوازع الداخلية المقلقة دفع إلى إسقاط العدوانية على الموضوع الخارجي، فقدمت الحالة إثرها الإجابة الموالية عند نفس اللوحة ("ولا كشغل خفاش تع الليل..بصح أنخافو").

السيرورات الدفاعية التي نشطت في هذه اللوحة ذات طابع هوسي، تشير إلى استعجال الدفاعات الهوسية لتجنب خطر الاختراق من الموضوع الاضطهادي.يتضح أن طبيعة المخاوف البدائية في هذه اللوحة تبعث إلى قلق الإهمال وفقدان الحماية في بيئة أولى معبأة بتصورات لمواضيع خطرة تهدد الحدود الجسدية.الظاهر أن صورة الأم الداخلية لم تشكل صاد الإثارة الكافي لردع المواضيع العدوانية عن الحالة.كما أن تقمصات الموضوع تكتسي صبغة اضطهادية تؤكد على طابع العلاقة المبكرة بالأم الداخلية.

اللوحة(II): تواصلت مخاوف الحالة عند لوحة الخصاء،حيث تحولت هذه الأخيرة إلى شاشة إسقاط مشهد نزوي عدواني،يعادل حركة تفجير الشحنات الداخلية:التركيز في الإجابات على محتوى "حيوان" في هذه اللوحة يعطي انطباعا بأنها تصورات لمواضيع مريعة،بالرغم من غياب حركات"حيوانية" صريحة(kan=0):منذ الإجابة الأولى("كشغل فيل زوج (ضحك).."،نلتمس محاولة دفاعية عن طريق التمسك بالواقع(هنا الخصائص البنيوية للوحة) ومقاومة القلق الداخلي. واستمر عمل الدفاع بتعديل الإجابة الأولى، لتخفيض مستوى العنف النفسي والحركات التدميرية التحتية("شغل حيوان normal")، إلا أن عمل الإرصان العقلي لم يفلت من تسرب سيرورات ذات طابع ذهاني شوهت إدراك الموضوع، والتردد في تأكيد الإجابة الثالثة("فيل ولا؟.. حشاك حلوف من فمو إيبان حلوف"..)

يشير إلى مستوى الصراع الداخلي لبناء الواقع، بوجود حركات نزوية تبحث عن التفريغ الانفجاري خارجا.هذا السياق النفسي يعيد إشكالية الخصاء على النمط الفمي للواجهة، ويؤكد على وجود حركة نكوصية أثارها تكثيف النوازع التدميرية التي تجاوزت الروابط بنزوات الحياة.هذا السياق النفسي ذاته، أدرج تصورات للعلاقة التلاحمية العنيفة ("زوج حلالف لاصقين ") حاولت الحالة تجنبها بسرعة بالعودة للواقع.لكن فشل العمليات العقلية في تأكيد هذا الواقع ترك الحالة في وضعية التباس،باعتبارها تفتقد لاستقرار الحدود(فيل ولاحلوف؟..بصح تتركبلي منهم قشعريرة").

على المستوى الهوامي،ما اتضح من تمثيل العلاقة التلاحمية المبكرة، وجود حركة التناقض الوجداني اتجاه صورة الأم (إلى جانب بعد "المحرم" أيضا):الاقتراب لدرجة التلاحم "جسد-لجسد" مع الأم يثير قلقا حادا، و لذلك سرعان ما تم الانسلاخ عن هذا التقمص التلاحمي بالموضوع البدائي (فيل و لا حلوف ؟..).

لكنه جرد الحالة من الغلاف الجسدي، كأن ذلك تعبيرعن استدخال صورة لاشعورية للأم الملتهمة أو السادية والتي تجرد طفلها من الجلد النفسي. و قلق الانصهار في العلاقة التلاحمية هو الذي استعجل الدفاع عن طريق الانسلاخ عن الموضوع و التمسك بحدود الجلد النفسي،من خلال التعبير عن خبرة حسية ("بصح تتركبلي منهم قشعريرة ").

ووصف المعاش النرجسي للعلاقة بالموضوع يؤكد على الطابع الصدمي للخبرة العلائقية بالأم القديمة، ومخاوف الاختـــراق أو (الالتهام) من الموضوعات المثالية المسقطة. من الواضح أن تراجع الحالة للخبرة الحسية يدل على صعوبة التحويـــل الرمزي للإستثارات الحسية، ما يعني وجود آثار خبرات علائقية صدمية ترسبت على المستوى الحسي لتتذر بمخـــاطر انهيارأو انصهار الذات.

اللوحة (III): أثارت تصورات مقلقة و مبهمة لم تتمكن الحالة من إرصانها العقلي(" هذي ما فهمتهاش"..) إلا بعد أن قلبت اللوحة و تناولت موقعا جزئيا في الأسفل (D_1)، حيث تم تقديم إجابة حيوانية ("..منا أرتيلا.من ما التحت.منا راســـها") تشير بشكل واضح إلى تجنب التصورات الإنسانية التي تثير الهوامات المقلقة.الظاهر أن نفس المخاوف السابقة للعلاقـــة التلاحمية القديمة امتدت إلى عمل تمثيل الذات، وأسفرت عن هذا التجنب الدفاعي للصور الإنسانية.

لاشعوريا، أصبحت تصورات العلاقات المتمايزة جنسيا،تثير نفس مخاطر الانصهار البدائي،ما يعني تـــداخل الســـيرورات البدائية بالسيرورات الثانوية،حتى أنه يصعب هنا تصور استثمار النزوات الجنسية،تحت عنف الحركات التدميرية التـــي تهدد وضعية الذات نفسها قبل استهداف الموضوع.

النشاط الدفاعي في هذه اللوحة تتواصل مقاومة مخاوف العلاقة الالتحامية التي طغت على السيرورات العقليـــة و أفقـــرت الحياة النفسية للحالة من السياقات التقمصية الأنثوية.

اللوحة(IV): قدمت الحالة إجابة قد تبدو نموذجية في خواف الأطفال("هاذا ماعرفتهاش..إيبان كشغل غول(ضحك)..إيبـــان في ذاتوغول")، لولا أنها أكدت مخاوفها و رفضها لهذه اللوحة في اختبار اختيار اللوحات السالبة ("أتخوفني ياســـر"). و تصريف الفعل في الحاضر مع المبالغة في تصور الإنفعال يثير الإنتباه، فهو يؤكد ثانية عودة الصورة اللاشعورية لـــلأم "المريعة"، و انطباع الحالة في الإجابة يدل على"تحيين" تلك المخاوف العميقة في إطار الوضـــعية الإســـقاطية، و كـــأن الخطر محدق فتستجدي بالمختصة طلبا للحماية.

اللوحة (V): إجابة الحالة مبتذلة("..هاذي ثاني فراشة.عاديnormal") و هي أكثر اللوحات التي سجلت فيها ارتياحها أثناء اختبار اختيار اللوحات الموجبة("أتريحني"). لكن استذكار اللوحة الأولى قبل إعطاء الإجابة، يحمل دلالة عياديـــة بالغـــة الأهمية: فاعتبار اللوحة الحالية تختبر حدود الهوية تبعا لبنيتها المتماسكة و المتناسقة، تعلـــق الحالـــة بتقـــديم صـــورة منقوصة للذات ("أنحس روحي أمنقصة في جسدي")،ما يعني أنها تشعر بنقائص نرجسية،فهي تختبر جلدها النفسي على أنه ذو ثغرات أو ثقوب(بالنظر لبنية اللوحة الأولى التي أثارت إشكالية العلاقة التلاحمية بالأم القديمة).

فإشكالية الهوية لدى الحالة و قلقها من الانصهار(في اللوحة الأولى) يظهران بحدة في إطار علائقي: فتجنـــب العلاقـــة أو التراجع للوضعية النرجسية الدفاعية وإن كانت تثير القلق الاكتئابي (جراء نقص نرجسي)، هي في الوقت ذاته تـــزيح قلق الانصهار في العلاقة بالموضوع . تعيش الحالة تناقضا وجدانيا اتجاه الموضوع وحاجة أو انبهار بثنائي مســـتحيل اللقاء: هناك نزوع للتعلق بالموضوع لكنه يهدد بالانصهار ويدفع بالحالة للهروب نحو وضـــعية نرجســـية "ناقصـــة" و إذن،لا محالة اكتئابية.في تصور الحالة، بناء علاقة يصبح مصدر تهديد لوضعيتها النرجسية.ومنه العلاقة بطفلها تهـــدد وضعيتها النرجسية، كونها تثير تقمصاتها بالموضوع التلاحمي أو بالأم القديمة.

اللوحة(VI): الحالة تعمد إلى إنكار الاستدعاءات الكامنة للخصاء.و تقوم بتمثيل النوازع الأنثوية وراء محتـــوى حيـــواني بحري("..أتبان حوته تاع ابحر.حوته بانتلي.حوته تاع الماء.التحت عادي. حوته عندها سنين من التحـــت. راهـــي..").

الظاهر أن الارتياح المسجل في اللوحة السابقة شجع نشاط التقمص الإسقاطي، لكن ذكر الأسنان هنا يدل على تســـرب هوامات

التهام الموضوع. و قد تمثلت هذه التصورات فعلا في الحركة الحيوانية التي تعتبر أول إجابة حركية فـــي البروتوكـــول، و هي، ما يؤكد على تفعيل الدفاعات الهوسية لتقمص الأم الملتهمة. وتعد هوامات قتل الطفل لدى الحالة من نـــواتج هـــذا التقمص البدائي.

اللوحة (VII): لا تظهر التقمصات الأنثوية الطفولة أو الأمومية، بوضوح بل تعرضت للخصاء أو الإنكار.وظهور أجـــزاء إنسانية ("هنا كشغل يدين.دايرين هكا(ترفع اليدين لتوضيح الحركة) أو يدين التحت دايرين هكا") بشكل يجســـد اللعـــب ألطفلي في طابعه الهوسي، يعني أن هناك ميكانيزم الانشطار الدفاعي الذي يعمل على تناول جزء من الموضوع،عندما لا يعرض ذلك حدود الهوية لخطر.هنا نسجل سياقات نفسية شبيهة بالإنكار الهوسي لإشكالية الفقد، للاكتئـــاب أو لقلـــق

الخصاء.هذه اللوحة شبيهة بشاشة تحقيق هلوسي لقتل الطفل بالنظر للإجابة في اللوحة السابقة: التقمص الإسقاطي للأم البدائية الملتهمة أو المريعة تابع الإشباع الهلوسي لهوام تقطيع الطفل. و تنشيط النزوات التدميرية في اللوحة السابقة في شكل "حركة حيوانية "ملتهمة يتواصل في اللوحة الحالية، لتناول التقمصات الطفلية الأنثوية و/ أو الأمومية، ولينتهي بإرصان إجابة إنسانية جزئية.

اللوحة (VIII): ظهرت في البداية،إجابات أكثرا ابتذالا تبعث إلى الانفتاح الآمن على مثيرات العالم الخارجي("كشغل أقطوطه.كشغل حاجة تع غابة.حيوان أنقولو.كشغل طومبه تع الديار حشاك.برك"). لكن سرعان ما تعرضت السيرورات العقلية لتدهور نوعي تبعا لاختراق مواضيع مقلقة، و توالت إثر ذلك تصورات ذات طابع إضطهادي("كشغل طوبه تع ألديارحشاك.برك").

الإجابات في اللوحة تمثل ضمنيا حركة نكوصية للصراعية الفمية التدميرية : (القطط تأكل الفئران. و هي مثيرة لقلق الاختراق "طوبه تع ألديار"، إضافة للاشمئزاز).و بالنسبة للحالة،استثمار النوازع الفمية لا يخلو من البعد الإضطهادي الذي يرتبط بهوامات الإلتهام من الأم القديمة.

اللوحة(XI): يمثل رفض الحالة لها محاولة دفاعية أوإنكار لصد الإستدعاءات المرتبطة بصورة الأم البدائية عن طريق ميكانيزم النفي والإنكار الدفاعي("هاذي ماعرفتلهاوالو.ماباناللي فيها والو.. والو.Normal"). فتسرب هذه الصورة البدائية من شأنه أن يثير مخاوف الإنهيار أو الزوال.وقد تمكنت الحالة من استبعاد الخطر عن الحدود من خلال هذا الرفض.أما الإجابة ذات الحدود غير الواضحة التي قدمت في مرحلة التحقيق فتؤكد ذلك("حاجة قاعدة..دايره يديها هكذا.(ψ؟):حاجة أتخوف").

وإرصان انطباعات انفعالية حادة عن الموضوع غير المعرف (بدلا من تحديد هوية الموضوع)، مفادها في النهاية استبعاد تقمص صورة الأم الداخلية، وبذلك تجنبت الحالة مواجهتها، نظرا للمخاطر المحتملة على وضعيتها الذاتية.

اللوحة (X): استجابة الحالة بانطباع مبتذل كان أيضا ناتج عن ترقب والتخوف من تسرب صورة الموضوع المقلقة("هاذي عندوnormalعندو هاذ الزروقاء إيبانوأرتيلاتnorma l.كشغل كشغلبوشرنيق. سرطان.ألحم").

يبدو أن تشتت البنية الشكلية للوحة عززعمل الدفاع في إنكار المخاوف الداخلية، حتى أنها من بين اللوحات التي اختارتها الحالة في اختبار الاختيار الإيجابي(" نفس الشيء أتريحني.ما إيخوفونيش").الإجابات تدرجت في نوعيتها بين المستوى الحسي و العقلنة: القلق الذي دفع بالحالة في البداية لترقب ظهور الموضوع الاضطهادي، جعلها تلتمس حدود المواقع المبتذلة، فبدى التحكم واضح في عمل الإرصان العقلي.غير أن نوعية الإجابات الأخيرة في مجملها تمثل بعدار مزيا يشير للوضعية النرجسية: الغلاف النفسي الجسدي طفلي وهش ("بوشرنيق") وهو سهل الاختراق وعرضة للاعتداء الخارجي من المواضيع ("سرطان").

و المحتوى التشريحي الأخير("لحم") يبعث إلى النوازع التدميرية التي استهدفت الغلاف الجسدي و النفسي أو الجلد النفسي. في الواقع، الإجابات الأخيرة تجسد مخاوف الحالة من فقدان الحدود أو الانهيار، و تعتبر أول محاولة رمزية لتمثيل الذات بنقائص الغلاف الجسدي، ضمن وضعية عدم النضج و الأهلية لبناء العلاقات.

الظاهر أن هناك خبرات صدمية بدائية تكيست في العالم الداخلي للحالة،و حالت دون إدماج الروابط الليبيدية بصورة أقوى و أكيدة، لتعزيز تطويرالتقمصات الأنثوية و الأمومية لدى الحالة.

3.IV- مناقشة الحالة:

إجمالا، تحليلا لبروتوكول يوضح أن هناك دينامية صراعية تتخذ أحيانا صبغة بدائية أو ذهانية ، مع أن معظم الميكانيزمات الدفاعية ذات طابع عصابي (التجنب ، النقل ، الرفض ، الإنكار الدفاعي الوارد في إشكاليات عصابية عميقة) ، نصبت للتمسك بالواقع و حماية حدود الذات من الاختراق،و لم تنجح كفاية في استبعاد الأخطار عن الوحدة النفسية. جل الإجابات دفاعية تصد تصورات إضطهادية ، إنفعالات مقلقة ظهرت خصوصا في اللوحات السوداء واللوحات السوداء-الحمراء. هذه الإجابات تكشف عن وجود صراع حول انسياب تصورات للأم القديمة التي تهيأت كموضوع مرعب وملتهم .واتضح أيضا أثر عودة هذه الأم الداخلية السيئة من خلال صعوبة إرصان التقمصات الأنثوية و نقائص الوضعية النرجسية وتذبذب نسبي لحدود الهوية (اللوحات I: ،V،VII. IX)

إن مجمل الاستجابات أمام لوحات الرورشاخ تكشف عن جانبين من التوظيف النفسي لدى الحالة:

- تسربه ام لتصور ابتدائية مقلقة تتصلب صورة الأم القديمة التي تهدد الوحدة النفسية: فالحالة اختبرت علاقة أولية بالأم القديمة تخللتها تصورات مريعة و إضطهادية ومعاش القرب من هذه الأم الداخلية يحمل تهديد بالانصهار أو الالتهام. وتسرب هذه الصورة البدائية منشأنه أن يثير مخاوف الانهيار أو الزوال. و أثار حالة الالتباس النزوي الذي أدى بدوره إلى تكثيف الانشطار و الإسقاط ، تلك هي الأرضية المناسبة التي أثارت هوام قتل الطفل. وقد اتضح أن المرور للفعل يحدث جراء طفو "خبرة حسية غير رمزية ، لغزية (Ravit, Anouck& Buttez) " (2013,عن العلاقة المبكرة العنيفة " أم-طفل"، يولد الالتباس والظرف اللحظي الحاسم وراء ارتكاب جريمة قتل الطفل .
- نقائص الوضعية النرجسية التي خلفت عدم استقرار الشعور بالهوية فضلا عن ضعف التقمصات الأنثوية و الأمومية : فالتذبذب الملحوظ في إثبات حدود الموضوع (اللوحة Vخصوصا) يؤكد على نقص الدعم المبكر من الأم الداخلية لصورة الذات و للوضعية الأنثوية الأولية لدى الحالة ، ما يفسر اختلال علاقة الحالة بطفلها حيث لم تستدخل صور أمومية داعمة تستمد منها دورها الأمومي أمام طفلها. وقد إتضح عجز الأم القاتلة لرضيعها عن تمثل وضعيتها الجنسية في الواقع(Depaulis ,2003) (، كما أن النوعية الرديئة للمحور النرجسي تعد مصدر نزيف اكتئابي، وعلى هذا الأساس ، تنجر فالأم المجرمة بمقتضى النقائص النرجسية لقتل الطفل "استجابة لحداد مستحيل للذات " ((Ravit,Anouck&Buttez,2013،حداد يتحول إلى نزيف نرجسي يعيق سيرورة التذيت (Cahn,1998) التي يفترض أن تنشط منذ ميلاد الرضيع في إطار العلاقة بين- الذاتية الأصلية .

حاليا ، يتضح أن الحالة تعيش معاناة تسرب هوام قتل الطفل إلى مخيلتها جراء تنشيط خبرة علائقية صدمية بالأم القديمة ، فضلا عن أنها تجد صعوبة بالغة في تمثل وضعية الأمومة أمام طفلها وتشعر بالذنب من ذلك. و الهيمنة اللاشعورية لهوام قتل الطفل لا تنفي استمرار نشاط سائر الميكانيزمات الدفاعية ذات الطابع العصابي التي تحفظلها الصلة بالواقع . و بالنظر إلى طفولة الحالة،يتبين نقص السند الأمومي في بناء التقمصات الأنثوية ، فالأم "الحقيقية" مثل تنموذجا اكتئابيا وضعيفا للغاية،لا يقوى على دعما بنتها في الدور الأنثوي و الأمومي معا. والظاهر أيضا أن هذه الأم عانت من الربو وهو الإضطرابات السيكوسوماتية التي تؤكد على إختلال العلاقة الأولية بالأم أيضا ، وقد بثت في ابنتها تقمصات أمومية ضعيفة جدا بلوسامة إذا اعتبرنا أصلا لهوام القاتل لدى الحالة. هذه الأم القديمة لمتعبئها باستثمار الذات الجيد الذي ترتكز إليه الحالة في تطوير نوازعها للأمومة لاحقا. ومنه تلك النقائص النرجسية التي عبرت عنها الحالة تشكل مصدر اكتئاب نرجسي. في النهاية ، الشعور بالنقص و فقر الإمداد النرجسي لتقمص الوضعية الأمومية ، وتسرب هوام قتل الطفل ما هو إلا إحياء لتصورات إضطهادية اختبرت في العلاقة مع الأم المبكرة التي لمت منحلها حاوي نفسيآ من ومحببين يديها (Holding)، بلعرضته الانفعالات سلبية أو سامة ، أثارت

مخاوفها البدائية (الإهمال الالتهام،التدمير، ..) ، و تولد عن هذا المعاش العلائقي الصدمي ، تصورات مقلقة و تدميرية للاقتراب من الأم. والحالة تقاوم تلك المخاوف بالإسقاط وبهوام قتل الطفل مع وجود الشعور بالذنب الذي يحول دون المرور للفعل في الوضع الراهن. هي تعاني من وضعية نفسية انتقالية ذات طابع "ذهاني (Winnicott,1956) " ، تتضمن شفافية غلافها النفسي التي لا تصدت سر بالمخاوف القديمة، وعودة صور الأم المضطهدة. و من ثمك لهذه المخاوف تترجم خبرة بدائية مشحونة بقلق الرفض، الكراهية ورغبة الأم في موت طفلتها .

إن الوضع النفسي للحالة يعيد نموذج المعاناة النفسية لدى النساء اللواتي اختبرن صدمات علائقية مبكرة ، و يعرفن بتوظيف نفسي هش تتخلله تصورات ذهانية حادة. جل المحللين يؤكد ونعلى وجود هذه الخصائص لدى النساء اللواتي ارتكبن جريمة قتل الطفل ضمن حلقة ذهانية ، و الولادة تعد نقطة بداية تنشيط المخاوف البدائية (Winnicott,1975) ، أو إسقاطا لتفاعلات الباتولوجية المبكرة على الرضيع) (Bydlowski,2001، أو إثارة هوام قتل الرضيع ,Ravit) .(2011وبوجود قاعدة نرجسية مخترقة من تصورات الصدمة العلائقية المبكرة ، يصعب أو يستحيل إرصان النوازع الأمومية. والنوعية الرديئة للمحور النرجسي و العجز عن تقمص الوضعية الأمومية (Depaulis ,2003) ، أكثر ما يثير حركات الكراهية اتجاه الرضيع الذي يتمثل حينها "الطفل الذي بداخل الحالة (L'enfant en Soi) "الذي تتجه إليه نزوة الموت من الأم القديمة المقتدرة. و بالنسبة للحالة ، تحليل البروتوكول لا يدلي بوجود عمليات تفككية قد تجر فالحالة للمرور

للفعل ، مع وجود مركبات عصابية كقلق الإهمال ، العمق الحصري ، الشك في الذات ونقص الشعور بالأم ننظر اللانفصال العاطفي المبكر و هشاشة في الهوية. معظم هذه الخصائص تشكل أرضية الميلا نخوليا(La mélancolie) التي دفعت العديد من النساء " الذهانيات" لقتل أطفالهن.(2011 (Romanoعلى العكس ، الحالة تحتفظ بقطاع من الدفاعات ذات الطابع العصابي مع وجود الشعور بالذنب ، و لعل طل بالاستشارة النفسية من أكثر الدلائل التي تستبعد خطر قتل حقيقي للطفل.

V- الخلاصة :

الأمومة مهد الحياة و الحب الأول يتلقى في حضنها الرضيع معاني الإنسانية و الجمال المطلق لكن أسطورة القتل الأول أيضا تركت لغزا محيرا من أين أتى العنف؟ كيف بدء؟ و لماذا بدء؟ عهدنا من تاريخ البشرية أن القتل مرتبط بالإخوة قابل و هابيل. وفي الوضع الراهن العلوم الإنسانية تبحث فيما يدعو الآم لقتل وليدها.التحليل النفسي يجيب بعالمية هوام قتل الطفل لدى الوالدين على حد سواء و يتجلى ذلك من الكراهية و التناقض الوجداني في الرعاية الطفل.هذه الهوامات تمر بين الجيلين، وظيفتها تنشيط سيرورات الانفصال، بناء الفضاء النفسي وتحقيق أسطورة خاصة بالميلاد(Perelberg ,1997,2004). سيرورات تحول الهوام إلى جريمة فعلية،هذا ما يستحق النقاش.العديد من الأمهات سجينات قتل طفلهن يعانين من بخصائص نفسية باتولوجية تفتقت بعد الجريمة، لتستكمل لوحة عيادية ذات تصحر نزوي و فكري،النقائص النرجسية ، طفو آثار الخبرات الصدمية المبكرة مع الأم تدمر إمكانية بناء الرابط بالطفل وتحول معاش العلاقة التلاحمية به إلى تهديد متواصل بانهيار الذات،بالانسحاب الذاتي(désêtre) باليأس النرجسي المرير. الانطباعات بغرابة الطفل،عدم القدرة على التعرف على أنه امتداد نرجسي للذات، سيطرة المعاش النزوي التدميري على النشاط الفكري الذي يجر التباس الحدود ،..كل ذلك يدفع لقتل "الطفل المعذب"ليس على أنه المولود الحقيقي و لكن تجسيد للطفل الداخلي اليائس من البقاء، أو للحد من المعاناة الأليمة لنزوة الموت التي تخرب المحتويات النفسية وتفقد الشخص من أي معنى.وعلى خلاف ما ورد في أدبيات التحليل و الإسقاطيات،عن الأمهات قاتلات أطفالهن، اتضح من بروتوكول رورشاخ فريدة جملة من السياقات النفسية : سجلنا منها التقمص الإسقاطي و الإسقاط المكثف للقلق الاضطهادي خصوصا عند اللوحات السوداء و الحمراء، بينما انخفضت حدة القلق بالتمسك بالعالم الخارجي و تجنب العالم الداخلي المشحون بتهديد الصورة الامومية المقتدرة و المريعة(عند اللوحات اللونية).لم نجد تفككا ذهانيا صريحا مع ترسانته الدفاعية (الانشطارو الإنكار أساسا)، لكن هناك توظيف بدفاعات عصابية (التجنب ،النقل ، التمسك بالواقع ، انكماش الانفعالات مع ظهور القلق الاضطهادي) تم اختراقه من هوام قتل الطفل،وتسرب شعور مبهم بالذنب البدائي كما يصفه روسيون(Roussillon,1991).وتحمل السياقات النفسية الموظفة بالأخص ذات الطابع العصابي دلالة الدفاع عن الوحدة النفسية من عنف الشعور بالذنب البدائي الذي حال دون بناء رابط بالطفل. وهو شعور قاتل أثار نشاط نواة خوافية حادة،اتخذ بعدا اضطهادي اتجاه عودة الأم القديمة المقتدرة من ناحية، والامتناع من التورط في العلاقة التلاحمية بطفلها من ناحية أخرى.

إن القلق الاضطهادي الذي صاحب ظهور هوام قتل الطفل، وعودة صورة الأم المقتدرة و الخطيرة،دفع لتجنب العالم الداخلي بمواضيعه الاضطهادية والتمسك بالواقع الموضوعي(الإجابات الشكلية و المحتويات الحيوانية خصوصا). وهذا الإجراء الدفاعي يميز التنظيمات الهجاسية بالدرجة الأولى قبل الشخصيات الخوافية،و تفيد هذه الدفاعات في معالجة المحتويات الذهانية التي تتخلل التوظيف النفسي ذو الطابع العصابي .كما يستعان بها لعلاج أو الخروج من الوضعية الهذائية أثناء تنشيط سيرورة الحداد في الطفولة المبكرة(Klein,1940). بنيويا، ليس هناك تهيئة ذهانية تفكك الروابط النفسية ،لكن هناك تسرب للهوامات او الحركات النزوية التدميرية، في اتجاه تكثيف الشعور بالذنب البدائي الذي يطفو في غياب إمكانية فك شفرة الخبرات اللاشعورية الكامنة وراء الهوام قتل الطفل و عودة الصورة الامومية المقتدرة للتهديد مجددا .

إن تسرب هوام قتل الطفل خلف قلقا عصابيا بدرجة الخواف .الحالة تقاوم تسرب هوام قتل الطفل بميكانيزمات النقل و التمسك بالمواضيع الخارجية.يمكن طرح فرضية مفادها أن تسرب صورة الأم القديمة المقتدرة إلى العالم الداخلي للحالة يدل على سيرورة انشطار الموضوع الداخلي، حتى أن تنصيب الدفاع بالموضوع الخارجي والتمسك به دليل على محاولة

تجنب هذه الصورة المريعة.و في المقابل تقمص هذه الأم المقتدرة في إطار علاقة الحالة بطفلها،جعلها تتمثل لا شعوريا رغبة أمها في قتلها هي. يبدو أن التفاعلات الهوامية المبكرة بينها و بين أمها كانت مشحونة بالقلق الاضطهادي و توقع الخطر و الدمار من الأم المثالية المقتدرة .بالنظر إلى صورة الأم الحقيقية (إمرأة معنفة من الأب، سلبية، مريضة سيكوسوماتية) يمكن القول ان الحالة استدخلت صورة الأم المملوءة بالعنف الخارجي و العاجزة عن التعبير الانفعالي عن الذات ، الأم التي تركت مناطق سوداء و مبهمة في علاقتها بطفلتها ،و نقلت معاها اليأس والاكتئاب، العنف النفسي و حتى الكراهية لطفلتها.

استدخلت الحالة مبكرا هذا المعاش المأساوي المميت الذي امتلأت به أمها،بحكم خصائص توظيفها السيكوسوماتي و فقر التبادلات الرمزية و تعويضها بتفاعلات هوامية تدميرية (حالة اليأس للأم القديمة، الضحية،..) هي أم نقلت إلى طفلتها هوام قتل الطفل أيضا بحكم الالتباس المبكر الحاصل في العلاقة التلاحمية بالأم،وجراء استدخال هذا العنف النفسي واليأس المبكر جعل الحالة تشعر بالذنب البدائي وكأنها قاتلة أمها.و أصبحت دينامية التقمصات المتبادلة تغذي العلاقة السادية– المازوشية بالأم.

و هوام قتل الطفل لدى الحالة يكشف أولا صعوبة إرصان وضعية أنثوية و أمومية على أنقاض صورة أم ضحية في الواقع ،لكن مقتدرة و قاتلة في اللاشعور و تهدد بالعودة للإنتقام .ننتهي بالقول أن هناك عناصر أو ديبية و قبل أوديبية في المعاناة الحالية للمفحوصة ،جراء تسرب هوام قتل الطفل، وهو في النهاية تعبير عن تدفق الشعور بالذنب البدائي جراء استدخال عنف حاد للصور الأمومية و كأن الحالة هي قاتلة أمها؛ أم أن الأم الحقيقية أو الداخلية نقلت إليها هوام قتل الطفل، فأصبحت الحالة تكرره مع طفلها في شكل خبرة اضطهادية أو هجاسية،لتجد دلالة رمزية و محررة للمحتويات العنيفة والمبهمة التي نقلت إليها مبكرا.

لعل هذا التفسير الذي تبين من تحليل الانتاج الإسقاطي للحالة ، يفيد الأخصائي العيادي الباحث عن نوعية التوظيف النفسي للحالات على ضوء الروائز الإسقاطية، في التميز بين الحالات العصابية والحالات الذهانية التي تلتبس فيها حدود التشخيص. و بالنسبة للمعالج النفسي، يمكنه أن يستمد من هذا التحليل و التفسير فرضياته في بداية العلاج أو أثناء تقييم مستوى تقدم الحالة الخاضعة لتقنياته العلاجيية.علما أنه لا تقوم سيرورة علاجية دون ضبط نوعية التوظيف النفسي و بناء فرضيات سليمة تعطي صورة عن السير الحقيقي للمريض. و تحدد للمعالج اختيار طرق أو تقنيات العلاج التي تناسبه. إن بروتوكول الحالة لا يقدمها على أنها ذهانية التوظيف النفسي ، فوجود رزنامة من الدفاعات النفسية ذات طابع عصابي تكفي لتحميها من التفكك الذهانيا لخطير ، غير أن وجود وضعية نرجسية هشة تبع النقص التعبئة الداخلية ، هو ما يحيل الحالة لصعوبة صد إختراق عالمها الداخلي من التصورات الإضطهادية لهوام قتل الطفل. و ربما يندرج طلب الاستشارة النفسية في حياة الحالة كخطوة للبحث عن الأم الجيدة التي تمنح الدعم النرجسي لإعادة بناء الوضعية الشخصية أو لترميمها.

Références Bibliographiques :

1. Benhaïm M.(2002). « La pulsion de mort à l'épreuve du maternel »,*AnalyseFreudienne Presse,*2, 6, 101-113.
2. Bonnichon D.(2012). « Au berceau du fantasme coule la violence », *Cahiers depsychologie clinique, 2*, 39, 31-43.
3. Bydlowski M.(2001). « Le regard intérieur de la femme enceinte, transparencepsychique et représentation de l'objet interne »,*Devenir*, 2, 13, 41-52.
4. BydlowskiM.(2006). « Parenté maternelle et parenté paternelle », *Adolescence*, 1, 55,33-42.
5. Cahn R.(1998).*L'adolescent dans la psychanalyse. L'aventure de la subjectivation*, le fil rouge, Puf : Paris.
6. Freud S.(1933). *L'inquiétante étrangeté*.1919(Traduit de l'Allemand par Marie Bonaparte et Mme E. Marty), in Essais de psychanalyse appliquée, Editions Gallimard, Paris.
7. Fugère R.& Roy R.(2014). « L'infanticide. Portrait du phénomène à la lumière desécrits et de l'expérience clinique »,*L'information psychiatrique, 8,90*, 657-661.
8. Houssier F.(2007). « Pierre l'Ebouriffé et les souhaits infanticides : du conte à laclinique de la parentalité » ,*La psychiatrie de l'enfant*,2, 50, 483-502.
9. HoussierF.(2007). « Mythe phylogénétique, rêve et conte pour enfant. Lapermanence d'une trace infanticide dans la culture freudienne »,*Le Divan familial2,19* , 129-140.
10. Ravit M.& Roman P. (2009). « Clinique de l'infanticide. Un corps-à-corps mortifère »,*Psychologie clinique et projective*, 1, 15, 119-144.
11. Ravit M. (2011). « L'ombre de l'enfant mort Clinique de l'infanticide », *Topique*, 4, 117, 105-115.
12. Ravit M. &Pitel-ButtezM.-A.(2013). « L'infanticide ou l'écho du désêtre »,*Cliniques méditerranéennes*, 1,87, 71-84.
13. Viaux J.-L.(2014). « Maltraitance et infanticide »,*L'information psychiatrique, 8,90*, 633-639.
14. Klein M.(1940). « Le Deuil et ses rapports avec les états maniaco-dépressifs », In *Essais De Psychanalyse*,1984. p.341-369, Payot,Paris.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

أ.كريمة طوطاوي، (2021) **هوام قتل الطفل عند أم في الاستشارة النفسية** تحليل السياقات النفسية من خلال الرورشاخ ، مجلة الباحث في العلـوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 13 (01)/ 2021، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص 103-116.

ملحق- بروتوكول فريدة

اللوحات	زمن الكمون	الإجابات	التحقيق	التنقيط
I	"09	إتسمى نوصفلك واش راني انشوف؟ (ψ؟) .. -كشغل Papillon بصح إخوف (ضحك).. -ولا كشغل خفاش تع الليل ..بصح انخافو"04 '01	-G -G	صدمة عند الأسود -G Fclob A -G FclobA →kan
II	"15	- كشغل فيل .زوج (ضحك).. - شغل حيوان Normal - فيل و لا؟.. حشاك حلوف من فموإيبان حلوف .. - زوج حلالف لاصقين.. فيل و لا حلوف؟ .. بصح تتركبلي منهم قشعريرة"52	- D_1 - D_1G	-D_1G F+A -D_1F+A D_1F^{-+} A D_1G Kclob A
III	"10	...٨.. - هذي ما فهمتهاش .. - .. منا ارتيلا .من ما التحت .منا راسها"08"	- G	ميل للرفض GF-A
IV	" 09	...٨... هاذا ماعرفتهاش ..إيبان كشغل غول (ضحك)..إيبان في ذاتو غول""10	- G	ميل للرفض G K (H)
V	"06	...٨... ...هاذي ثاني فراشة .عاديNormal "..."09	- G	GF+A Ban
VI	" 12	...٨... اتبان حوته تاع بحر .حوته بانتلي .حوته تاع الماء.التحت عادي. حوته عندها سنين من التحت. راهي .." "09	- D_1	D_1 Kan A →Clob
VII	"08	...٨("هنا كشغل يدين .دايرين هكا (ترفع اليدين لتوضيح الحركة)أو يدين التحت دايرين هكا ".. "07	- D	-DkpHd -DkpHd →C'
VIII	"07	...٨كشغل اقطوطه. -كشغل حاجة تع غابة حيوان انقولو . -كشغل طومبه تع الديار حشاك .برك".."11	-D_1G	-D_1GF+A -D_1GF+A/Bot Ban -D_1GF- A →Clob
IX	"08	...٨... "هاذي ماعرفتلها والو. ماباتلي فيها والو.. والو 10"."Normal.	.. حاجة قاعدة ..دايره يديها هكذا (ψ؟) : حاجة أتخوف " DGkclob (A)	رفض اللوحة
X	" 09	...٨("هاذي عندوNormalعندو هاذ الزروقاءإيبانوأرتيلاتnormal.كشغل كشغلبوشرنيق . سرطان. ألحم 13"(...."..."	- D - D - D	-D_1F+A Ban -DF-A -DF+A -DF-A

Epreuve des choix : **-Choix positif :** Pl.V: .. نفس الشيء أتريحني ..؟..

Pl.X:مايخوفونيش..؟..

-Choix négatif: Pl. IV: خوفتني ياسر...؟..

Pl.II:" في واحد المرحلة اعرفتو الحلوف..حلالفإيداربو"..؟..

Psychogramme :

R= 17 G = 07 G% = 0,17 % F^{+}=07 F- =04 F^{-+} =01 F % = 70,6 %
D = 10 D% = 58,8% A = 13 A% =76,5% (H)=01 F^{+}% =44 %
Kclob=01 Bot=01 Hd=02
Tps. total =03'22 " Fclob=03 Ban = 02 H% =11,76%
Tps./réponse =11,35 '' K= 01 Anat=01 Refus = 01
Tps.lat.moyen =10,33'' kan= 01 Kp=01
T.Appr. : D G T.R.I. : 1 K = 0C (Type introversif pur) RC% = 41,17 %